قضية المرأة (٨)

إنّ الحمد لله... أما بعد:

فمعاشر المسلمين...

تقدَّم في جُمَع ماضية كلامٌ عن شأن المرأة، وكيف كان حالُها في الحضارات السابقة، وعند عرب الجاهلية، ثم كيف ارتقى بها الإسلام من درك الشقاء وجهد البلاء، إلى أن بوَّأها مكانًا مرموقًا، وأحاطها بسياجٍ مُحكَم يمنع من الوصول إليها، إلا من أبواب محوطة بإطارٍ شرعيّ مُحكَم، حتى أصبحت الجوهرة في حرزها كالضرَّة في غَيرَتها من الحِرز والحفظ الذي تتمتع به المرأة في ظلال الإسلام وسُموّ تشريعاته.

معاشر المسلمين...

تقدم الكلام أيضًا فيما يدعو إليه ويتبنَّاه شرذِمة من أعداء العِفَّة والحجاب، الذين سَخَّروا مقالاتهم ورسوماتهم الساخرة لتنال من تحصين الإسلام للمرأة.

كناطحٍ صخرةً يومًا لِيُوهِنَهَا
فلم يَضِرْها وأوهَى قرنَه الوَعِلُ

معاشر المسلمين..

شَرِقت صدورهم، وجحظت أعيُنهم، وعضُّوا الأنامل من الغيظ، فرموا عن قوسٍ واحدةٍ فتاة الإسلام، وصاحبة الحجاب والحِشمة والحياء، رمَوْها بالتخلُّف والرَّجعية والتشبُّث بالقديم والعادات، وما زالوا يُدبِّرون أمرَهم بليل، بل وفي وضح النهار، يحيكون مقالاتهم، ويُظهِرونها بمظهَر الناصح تارةً، ومَظهَر الناقد بأدب ـ زعمَ ـ تارةً أخرى.

ثم لما رأوا أنّ عَفَنَهم قد فاحت رائحتُه، وخُبثَهم تكشفت عورتُه، رموا جلباب الحياء المزعوم، وكشفوا عن خبثهم، وجاهروا في مقالاتهم بما يُضمِرون من كيدٍ للمرأة المسلمة المحتشِمة.

فقبَّح الله أقوامًا رأوا نعمة الحجاب فكادوها، ورأوا غيرة أهله عليه فمرَّغوها.

معاشر المسلمين... إنّ أمر أولئك النتنَى خطرٌ جسيم على المجتمع أفرادًا وجماعات، بل هم أخطر من قُطَّاع الطرق.

قُطَّاع الطرق يَسلِبون الأموال، وهؤلاء يَسلِبون الأعراض.

أصونُ عِرضي بمالي لا أدنِّسُه

لا بارك الله بعد العِرض في المالِ

معاشر المسلمين... لئن كان الجاهليون يَئِدون النساء، فهؤلاء يَئِدون الحياء والحشمة والعفَّة والكرامة.

تتبارى أقلامُهم في وأد كرامة المرأة وحجابها، فتارة دعوة إلى ترك الحجاب، وتارةً دعوة إلى الاختلاط في التعليم والمطاعم والحدائق، وتارةً بتمجيد بعض النساء ـ كافرات أو مسلمات فاجرات ـ إلى غير ذلك من ساقط الفكر وخبيثه.

يستغلون أيَّ حدَث سِلبيّ في محيط تعليم النساء وما شاكله، فيجعلون من ذلك الحدَث قُبَّةً، بل قِبابًا!

وهم من أدرى الناس بأنّ ديار الشرق والغرب تحدُث فيها حوادث لا تُعدّ ولا تُحصى تتعلق بالمرأة في مجالات التعليم رغم الاختلاط والتبرُّج، ومع ذلك يخنسون عن ذِكر ذلك.

﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾. ﴿ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴾. ﴿ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴾. ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ ﴾.

معاشر المسلمين... ليس عجيبًا أن ينبري أولئك المغرِضون الحاقدون لكيد المرأة المسلمة، ليس عجيبًا أن يستميتوا في بثّ شُبُهاتهم وشهواتهم، إنما العجيب أن يكون بعض الأولياء ـ من الآباء والأزواج العُقلاء المصلِّين ـ عونًا لأولئك الشراذم!

يا عجبًا من والدٍ يسعى إلى هدم الفضيلة في داره وأهله، يُنفق ماله، ويهدر وقته في سبيل ذلك!

وعجبًا من أولئك الآباء والأزواج... ذلك الرجل الذي رفع فوق بيته ـ باختياره ـ تلك الأطباق الفضائية التي تجلب الشرّ والرَّذيلة!

معاشر المسلمين... إنّ من المصائب التي بُليت بها أمة الإسلام وغُزيت بها في عُقر دارها، بل تسابق كثيرٌ منهم في تحصيلها والشغف بها: تلك القنوات والأطباق الفضائية التي ما فَتِئَ أعداء الإسلام ـ من اليهود والنصارى وغيرهم ـ يتفنَّنون في ترويجها والدِّعاية لها، تسابقت شركاتُهم ومؤسساتهم في تصدير بضاعتهم المُزجاة إلى بلاد المسلمين، حتى غدا بثُّهم على مدار اليوم كله، إمعانًا في الكيد للإسلام وأهله، كلّ ذلك بلباس الثقافة والترويح! ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾.

معاشر المسلمين... إنّ مما يتفطّر له القلب، وتدمع له

العين، ويندَى له الجبين ... ما يُرى من انتشار تلك الأطباق التي أصبحت كالرَّايات على كثير من بيوت المسلمين، تُشكِّك في العقيدة، تنشُر الرَّذيلة، تُحارب الفضيلة، تُوالي التبرُّج والسُّفور، تعادي الحشمة والحياء، تتفنَّن في إظهار الفحش صوتًا وصورةً!

عجبًا منك أيها الوالد! أبلغَ بك التفريط إلى هذا المبلغ؟! أين غَيْرَتُك؟ أين حقيقة مسؤوليتك؟ بل أين رُجولتُك؟ كيف ترضى بأن يَرى أهلُك وبناتُك أنواع الخبث باختيارِك ومالِك وإقرارِك؟

ألم تعلم أنّ بعض أهل الجاهلية كان يأنف أن يجلس أحدُهم على بِساط أو بُقعة جلستْ فيها امرأتُه، بل كان بعضُهم ينحَر ناقتَه التي تركبُها زوجتُه إذا استغنتْ عنها؛ خشيةَ أن يركبَ رجُلٌ مكان امرأته!

معاشر المسلمين... لقد كان الجاهليُّون لا يَقبَلون في المساس بالعِرض صَرْفًا ولا عَدلًا، فبمجرَّد رائحة المساس بالعرض تُسَلّ سيوف وتُراق دماء، وتفرّق جماعات.

معاشر المسلمين... أليس من التناقُض ـ الذي يجعل الحليم حيران ـ أن ترى ذلك الجاهليَّ ـ الذي يعبُد صنَمه وينحر له ويستقسم عنده ـ أكثرَ غيرةً من بعض المسلمين على نسائهم؟!

معاشر المسلمين... يا سُبحان الله! جاهليٌّ يكفُر بالله ويؤمن بالطاغوت تقوم قيامتُه إذا عرَّض أحدُهم بامرأته ولو من طرف خفيّ، ورجُلٌ موحِّد مصلٍّ يفتح ذراعيه وبيتَه لإدخال ذلك الجهاز المُصَدِّر للخبائث المانع للفضائل.

أو ذلك المسلم الذي تقطع امرأته الأسواق طولًا وعَرْضًا متعطِّرة متبرِّجة، تتسابق عليها عيون الذئاب، وهو في غفلة عنها.

أو ذلك المسلم الذي ألقى الحبل على غاربه، وتركَ امرأتَه تُخالط الرِّجال وتُضاحكهم.

أو ذلك المسلم الذي يسافر بأهله إلى ديار الكفر لغير حاجة، فتمشي امرأته أو ابنتُه حاسرةً كاشفةً، فتضعف غيرتها بسبب ما ترى من غُربة العفة بل عدمها.

أو ذلك المسلم الذي حضر بدنُه وغاب قلبُه، نومٌ في النهار وسَهَرٌ في الليل، فلا يعرف أهلَه إلا عند الطعام والفراش! وأما في غير ذلك... «فيُقضَى الأمرُ حين تغيبُ تيمٌ» لا يعلم عن حال بيته شيئًا.

أو ذلك المسلم الذي يجلب إلى بيته وبناته مجلَّات هابطة ماجنة، تدلُّ على الشرّ والفجور، وتقتل الغيرة والعِفة.

يا عجَبًا لا ينقضي منك أيها الوالد المفرِّط! أين حياؤك من ربِّك؟ أين حياؤك من الناس؟ أين أثرُ الصلاة؟ اتَّق الله تعالى

في نفسك وفي أهلك، واعلم ـ هداك الله ـ أنّ تلك الأطباق وغيرَها من مصادر الشرّ قد دَنَّست أعراضًا، وهدمت فضائل، وقد تواطأ كلامُ كثير من الناس على ذِكر حوادثَ وخيمة تستحي الألسنةُ من ذِكرِها، وتستبشع الآذان سماعها، وكيف يُستبعد هذا وذاك وتلك الأطباق تبُثّ من عفنِها ما يُهيِّجُ النفوس ويثير كوامنها، فكيف يكون الشأن إذا اجتمع مع ذلك ضعفُ الوازع؟ فأجلب الشيطان عليهم بخيله ورَجِله، حتى أوقع كثيرًا منهم في شباكه!

اللهم احفظ علينا أعراضنا، واسترُ عوراتِنا.

الخطبة الثانية

الحمد لله...

معاشر المسلمين... ليتَّق الله تعالى أولئك الآباء الذي جلبوا الفساد إلى بيوتهم باختيارهم، بل وشَرَوه بأموالهم، وليعلموا أنّ من دلّ على وزر فعليه مثلُ وزر فاعله وسامعه وناظره.

معاشر المسلمين... إنّ الواجب على كلّ واحد منا أن يبذل جهده ووُسعَه في المضاعفة من صلاح بيته وأسرته،

فذلك من المسؤولية التي كلفنا الله تعالى بها.

عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيته». أخرجه الشيخان.

معاشر المسلمين... إذا كان أعداء الحجاب والحشمة والحياء يستميتون في إفساد مجتمعنا ونسائنا بيوتنا، فلزامًا أن نستميت نحنُ في الدفاع لردّ كيدهم وفجورهم، وذلك من نصر دين الله تعالى. ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾.

وإنّ مِنْ نَصْرِ دين الله تعالى: ردَّ الباطل وكشف عَواره، والقيامَ بالمسؤولية على قدر المستطاع، وإنّ من تمام المسؤولية تُجاه نسائنا وأبنائنا: تحصينَهم من الشرّ وأهله وأسبابه ودوافعه.

معاشر المسلمين... وأسباب دفع الشرّ عن نسائنا وبناتِنا كثيرة:

فمنها: الدعاء لهنّ والضَّراعة إلى الله تعالى في ذلك، فجانب الدعاء من أعظم الأسلحة تأثيرًا إذا انتفت موانعه وتحققت أسباب قَبوله.

ومن الأسباب أيضًا: الذهاب بهنّ إلى المحاضرات

والندوات العلمية، وبخاصة تلك التي تُعنَى بشؤون المرأة، فتسمع الذِّكر والعلم وتتغذى به، فيكون نبراسًا لها في حياتها ومع أولادها تُعلمهم وتهذبهم، فينشأ الصِّغار على خير طريق وأهدى سبيل.

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبًا طيِّب الأعراق

ومن الأسباب أيضًا: إيجاد مكتبة علمية في المنزل تتضمَّن كتبًا ورسائل وأشرطة تنفعُ قارئَها وسامعَها، فتصبح المرأة وتُمسي والخير بين يديها، تمشي في رياضه، وتقطف من ثماره، فتستفيد وتفيد، وتَعلم وتُعلِّم.

ومن الأسباب أيضًا: المشاركة في المدارس النسائية الخيرية التي تُعين على الخير وعمله، كتلك المدارس التي تُعلِّم القرآن الكريم وغيره من أبواب الخير.

ومن الأسباب أيضًا: أن يحرص الوالد على اختيار الزوج الصالح لابنته، ويسعى في البحث عنه، وليس هذا من العيب أو من خوارم المرؤءة، بل ذلك من تمام المسؤولية.

قال الإمام البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ في «صحيحه»: «باب عَرْض الرَّجُل ابنته أو أخته على أهل الخير». ثم ساق خبر عرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على أبي بكر، ثم عثمان، رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

معاشر المسلمين... ومن الأسباب أيضًا: أن تحرص

الوالدة على معرفة صاحبات بناتِها، وأن تسأل عنهنّ، وتوصل أخبار ذلك إلى الوالد؛ كي يكون على بيِّنة من أمر بناتِه.

فكم من صاحبات السوء قد هدمن بيوتًا، وتسبَّبن في هتك أعراض، والبيوت أسرار.

ومن الأسباب أيضًا: حرص وليّ الأمر على عدم كثرة التغيُّب عن البيت، وإن حصل ذلك ـ لسفر أو غيره ـ كان معهم على اتِّصال ووصاية، فكثرة التغيُّب عن البيت يجعل من ذلك البيت أرضًا خصبةً لنبتة الشرّ.

ومن الأسباب أيضًا: أن تطرح قضية المرأة وغيرُها من القضايا الهامَّة في المجالس العامَّة والخاصَّة، وبخاصة عندما يفرز أولئك الكتَبة النشاز عن مقصدهم، فبطرح تلك القضية وما شاكلها يتنبَّه الجاهل، ويتفطّن الغافل لما يُحاك لنسائه وبناتِه.

ومن أسباب ردِّ شرّ أولئك أو ردّ بعضه: أن يقوم كلّ منَّا على ثغرة في مواجهة أولئك، فالعالم بعلمه، والكاتب بقلمه، والواعظ بنُصحه، وهكذا كلما تكاتفت الجُهود أثمرت النتائج.

تأبى الرِّماح إذا اجتمعن تكسُّرًا

فإذا افترقن تكسَّرت آحادًا

ومن الأسباب أيضًا: فضح أولئك الكُتَّاب المتلوِّنين، والتشهير بأسماء من عُلم شرُّه وخُبثُه؛ حتى لا يخدع به الجاهل، فإذا عَرَف الناسُ أنّ كتابات فلان مشبوهةٌ كانوا على حذر.

ومن الأسباب أيضًا: قراءة ما كُتب عن المرأة المسلمة، والتباحُث مع مشايخ العلم وطلبته في شؤون المرأة، وكيفية تحصينها من موارد الشُّبُهات والشهوات، فبالقراءة والسماع والتباحُث يزداد الوالد بصيرةً واستشعارًا للمسؤولية.

اللهمَّ أعنَّا على القيام بمسؤوليتِنا...

اللهمَّ احفظ لنا ديننا، واحفظ لنا دنيانا واجعلها عونًا لنا على طاعتِك..

اللهمَّ من سخَّر قلمه في حرب الإسلام فشُلَّ يدَه، ومن سخَّر لسانه في حرب الإسلام فأخرس لسانَه.

اللهمَّ اكفنا شرَّ الأشرار، وكيدَ الفُجَّار..

اللهمَّ وفِّق وُلاة أمرنا لكبت أهل الباطل وأذنابهم...

***